سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تألُّهِى

يعنى : مِن تعَبُّدى وطلَبى اللَّهَ بعملى .

ولا شك أن التألُّهَ التفَعُّلَ مِن : أَلَه يَأْلَهُ . وأن معنى أَلَه - إذا نُطِق به - : عبَد اللَّهَ . وقد جاء منه مصدرٌ يَدُلُّ على أن العربَ قد نطَقَت منه بـ « فعِل يَفْعَل » بغيرِ زيادةٍ .

وذلك ما **حدَّثنا** به سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن نافعِ بنِ[(١)] عمرَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قرأ : (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ)[(٢)] . قال : عبادتَك . ويقولُ : إنه كان يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ[(٣)] .

وحدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن محمدِ ابنِ عمرِو بنِ الحسنِ ، عن ابنِ عباسٍ : (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَك) . قال : إنما كان فرعونُ يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ . [(٤)]وكذلك كان [(٥)]ابنُ عباسٍ[(٥)] يقرؤها ومجاهدٌ[(٤)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا [(٦)]الحسينُ بنُ داودَ[(٦)] ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ قولَه : (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) . قال :

---

(١) فى ص : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٨٧ .

(٢) هذه قراءة للآية ١٢٧ من سورة الأعراف ، فانظرها هناك .

(٣) سيأتى هذا الأثر والأثر الذى بعده فى سورة الأعراف فانظرها هناك .

(٤ - ٤) سقط من : ت٢ .

(٥ - ٥) فى ص : « أبو عبد الله » ، وفى م : « عبد الله » .

(٦ - ٦) فى ص : « الحسن بن واره » . وهو الحسين بن داود المصيصى ، أبو على المحتسب ، لقبه سنيد ، وهو بلقبه أشهر . ينظر ترجمته فى تهذيب الكمال ١٢/ ١٦١ .

وعبادتَك .

ولا شكَّ أن الإلاهةَ[١] - على ما فسَّره ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ - مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : أَلَه اللَّهَ فلانٌ إلاهةً . كما يقالُ : عبَد اللَّهَ فلانٌ عبادةً ، وعبَر الرؤيا عبارةً . فقد بيَّن قولُ ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ هذا أن « أَلَه » عبَد ، وأن الإلاهةَ مصدرُه .

فإن قال : فإن كان جائزًا أن يقالَ لمن عَبد اللَّهَ : أَلَهه - على تأويلِ قولِ ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ - فكيف الواجبُ فى ذلك أن يقالَ إذا أراد المُخْبِرُ [٢]الخبرَ عن[٢] استيجابِ اللَّهِ ذلك على عبدِه ؟

قيل : أما الروايةُ فلا روايةَ به[٣] عندَنا ، ولكن الواجبَ على قياسِ ما جاء به الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى **حدَّثنا** به إسماعيلُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ ابنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن إسماعيلَ بنِ يحيى ، **عن** ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ مسعودٍ ، **و**مِسْعَرِ بنِ كِدَامٍ ، عن عطيةَ العَوْفىِّ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ عيسى أَسْلَمَتْه أُمُّه إلى الكُتَّابِ ليُعَلِّمَه ، فقال له المُعَلِّمُ : اكْتُب : [١/١٥و] اللَّه . فقال له عِيسى : أَتَدْرِى ما اللَّهُ ؟ اللَّهُ إلهُ الآلِهَةِ » - أن يُقالَ : اللَّهُ جلّ ثناؤُه إلهُ العبدِ ، والعبدُ أَلَهه . وأن يكونَ قولُ القائلِ : اللَّهُ . مِن الكلامِ[٤] أصلُه الإلهُ .

---

(١) فى ر : « إلاهة » .

(٢ - ٢) فى ص : « الخبر » ، وفى ر : « عن الخبر » .

(٣) سقط من : م ، وفى ص : « فيه » .

(٤) فى م : « كلام العرب » .

٥٥/١ /فإن قال: وكيف يجوزُ أن يكونَ ذلك كذلك مع اختلافِ لفظَيْهما[١] ؟

قيل: كما جاز أن يكونَ قولُه: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ [الكهف: ٣٨]. أصلُه: لكنْ أنا، هو اللَّهُ ربِّى. كما قال الشاعرُ[٢]:

وتَرْمِينَنى[٣] بالطَّرْفِ أىْ أنتَ مُذْنِبٌ وتَقْلِينَنى لكنَّا إياك لا أقْلِى

يريدُ: لكنْ أنا إياك لا أقلى. فحذَف الهمزةَ مِن «أنا» فالْتَقَت نونُ «أنا» ونونُ «لكن» وهى ساكنةٌ، فأُدْغِمَت فى نونِ «أنا» فصارتا نونًا مشددةً. فكذلك اللَّهُ، أصلُه الإلهُ، أُسْقِطَت الهمزةُ التى هى فاءُ الاسمِ، فالْتَقَت اللامُ التى هى عينُ الاسمِ واللامُ الزائدةُ التى دخَلَت مع الألفِ الزائدةِ، وهى ساكنةٌ، فأُدْغِمَت فى الأُخرى التى هى عينُ الاسمِ، فصارَتا فى اللفظِ لامًا واحدةً مشددةً، كما وصَفْنا مِن قولِ اللَّهِ: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

قال أبو جعفرٍ: وأما: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾، فهو فَعْلانُ، مِن رحِم[٤]، و﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾، فَعيلٌ منه، والعربُ كثيرًا ما تَبْنِى الأسماءَ مِن «فعِل يَفْعَلُ» على «فَعْلانَ»، كقولِهم مِن غضِب: غَضْبانُ. ومِن سكِر: سَكْرانُ. ومِن

---

(١) فى ص: «لفظهما».

(٢) معانى القرآن ٢/ ١٤٤، وخزانة الأدب ١١/ ٢٢٥، وقال: لم أقف على تتمته وقائله، مع أنه مشهور قلما خلا منه كتاب نحوى، واللَّه أعلم.

(٣) فى ص: «تومينى».

(٤) فى ص: «رحيم».

عطِش : عَطْشانُ . فكذلك قولُهم : رحمنُ . مِن رحِم ؛ لأن « فعِل »[١] منه : رحِم يَرْحَمُ .

وقيل : رَحيمٌ . وإن كانت عينُ « فعِل » منه[٢] مكسورةً ؛ لأنه مدحٌ ، ومِن شأنِ العربِ أن يَحْمِلوا أبنيةَ الأسماءِ إذا كان فيها مدحٌ أو ذمٌّ على « فعيلٍ » ، وإن كانت عينُ « فعل » منها مكسورةً أو مفتوحةً ، كما قالوا مِن « علِم » : عالمٌ وعليمٌ . ومِن « قدَر » : قادرٌ وقديرٌ . وليس ذلك منها بناءً على أفعالِها ؛ لأن البناءَ مِن « فعِل يَفْعَل » و « فعَل يَفْعِل » فاعلٌ ، فلو كان الرحمنُ والرحيمُ خارجَيْن على[٣] بناءِ أفعالِهما لكانت صورتُهما الراحمَ .

فإن قال قائلٌ : فإذ كان الرحمنُ والرحيمُ اسمَيْن مشتقَّيْن مِن الرحمةِ ، فما وجهُ تَكريرِ ذلك وأحدُهما مُؤَدٍّ عن معنَى الآخَرِ ؟

قيل له : ليس الأمرُ فى ذلك كما[٤] ظنَنْتَ ، بل لكلٍّ كلمةٍ منهما معنًى لا تُؤَدِّى الأخْرى منهما عنها .

فإن قال : وما المعنى الذى انْفَرَدَت به كلُّ واحدةٍ منهما ، فصارت إحداهما غيرَ مُؤَدِّيةِ المعنى عن الأخرى ؟

قيل : أما مِن جهةِ العربيةِ ، فلا تَمانُعَ بينَ أهلِ المعرفةِ بلغاتِ العربِ أن قولَ القائلِ : الرحمنُ . عن أبنيةِ الأسماءِ مِن « فعِل ويَفْعَل » أشدُّ عدولًا مِن قولِه : الرحيمُ . ولا خلافَ مع ذلك بينَهم أن كلَّ اسمٍ كان له أصلٌ فى « فعِل

---

(١) فى ص : « فعيل » .

(٢) فى م : « منها » .

(٣) فى م : « عن » .

(٤) فى م : « على ما » .

ويَفْعَلُ » ثم كان عن أصلِه من « فعِل ويَفْعَلُ » أشدَّ عدولًا ، أن الموصوفَ به مُفَضَّلٌ على الموصوفِ بالاسمِ المبنىِّ على أصلِه مِن « فعُل ويَفْعُل » إذا كانت التسميةُ به مدحًا أو ذمًّا ، فهذا ما فى قولِ القائلِ : الرحمنُ . مِن زيادةِ المعنى على قولِه : الرحيمُ . فى اللغةِ .

وأما مِن جهةِ الأثرِ والخبرِ ، ففيه بينَ[1] أهلِ التأويلِ اختلافٌ[2] ؛ **فحدَّثنى** السَّرِىُّ بنُ يحيى التَّمِيمىُّ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ زُفَرَ ، قال : سمِعْتُ العَرْزمىَّ[3] يقولُ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . قال : الرحمنُ بجميعِ الخلقِ ، الرحيمُ ، قال : بالمؤمنين[4] .

٥٦/١ / **حدَّثنا** إسماعيلُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن إسماعيلَ بنِ يحيى ، **عن** ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ مسعودٍ ، ومِسْعَرِ بنِ كِدَامٍ ، عن عطيةَ العَوْفىِّ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ عيسى ابنَ مَرْيَمَ قال : الرَّحْمَنُ رحمنُ الآخِرَةِ والدُّنيا ، والرَّحِيمُ رَحِيمُ الآخِرَةِ » .

فهذان الخبران قد أنبأا عن فرقِ ما بينَ تسميةِ اللَّهِ جل ثناؤُه باسمِه الذى هو رحمنٌ ، وتسميتِه باسمِه الذى هو رحيمٌ ، واختلافِ مَعْنَيَىِ[5] الكلمتين ، وإن اخْتَلَفا

---

(١) فى ص : « عن » .

(٢) فى ص : « إخلاف » .

(٣) فى م : « العزرمى » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٦/١ عن المصنف . وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٨/١ (٢٠) عن محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد اللَّه بن أبى سليمان العرزمى ، عن أبيه ، عن جوير ، عن الضحاك مثله . ومحمد وأبوه وجوير ضعفاء .

(٥) فى م : « معنى » .

فى معنى ذلك الفرقِ ، فدلّ أحدُهما على أن ذلك فى الدنيا ، ودلَّ الآخرُ على أنه فى الآخرةِ .

فإن قال : فأىُّ هذين التأويلَيْن أولى عندَك بالصحةِ ؟

قيل : لجميعِهما عندَنا فى الصحةِ مَخْرَجٌ ، فلا وجهَ لقولِ قائلٍ : أيُّهما أولى بالصحةِ ؟ وذلك أن المعنى الذى فى تسميةِ اللَّهِ بالرحمنِ ، دونَ الذى فى تسميتِه بالرحيمِ ، هو أنه بالتسميةِ بالرحمنِ موصوفٌ بعمومِ الرحمةِ جميعَ خلقِه ، وأنه بالتسميةِ [(١] بالرحيمِ موصوفٌ [)١] بخصوصِ الرحمةِ بعضَ خلقِه ، إمَّا فى كلِّ الأحوالِ ، وإمَّا فى بعضِ الأحوالِ ، فلا شكَّ - إذ كان ذلك كذلك - أن ذلك الخصوصَ الذى فى وصفِه بالرحيمِ لا يَسْتَحِيلُ عن معناه ، فى الدنيا كان ذلك أو فى الآخرةِ ، أو فيهما جميعًا .

فإذ كان صحيحًا ما قلنا مِن ذلك ، وكان اللَّهُ جل ثناؤُه قد خصَّ عبادَه المؤمنين فى عاجلِ الدنيا بما لطَف لهم [(٢] مِن توفيقِه إياهم لطاعتِه ، والإيمانِ به وبرسلِه ، واتباعِ أمرِه واجتنابِ مَعاصيه ، مما خُذِل عنه مَن أشْرَك به وكفَر ، وخالفَ ما أُمِر به ، وركِب معاصيَه ، وكان مع ذلك قد جعَل جل ثناؤُه ما أعَدَّ فى آجلِ الآخرةِ فى جنانِه مِن النعيمِ المقيمِ ، والفوزِ المبينِ ، لـمَن آمَن به ، مِن رحمتِه فى الدنيا والآخرةِ ، مع ما قد عمَّهم به والكفارَ فى الدنيا ، مِن الإفضالِ والإحسانِ إلى جميعِهم ؛ فى البَسْطِ فى الرزقِ ، وتَسْخيرِ السحابِ بالغَيْثِ ، وإخراجِ النباتِ مِن الأرضِ ، وصحةِ الأجْسامِ والعقولِ ، وسائرِ النِّعَمِ التى لا تُحْصَى ، التى يَشْتَرِكُ فيها المؤمنون والكافرون ، فربُّنا جل ثناؤُه رحمنُ [١/١٥ظ]

(١ - ١) فى ر : « بالرحمن مخصوص » .

(٢) فى م : « بهم » .

جميعِ خلقِه فى الدنيا والآخرةِ ، ورحيمُ المؤمنين خاصةً فى الدنيا والآخرةِ .

فأما الذى عمَّ جميعَهم به فى الدنيا مِن رحمتِه فكان رحمانًا[١] لهم به ، فما ذكَرْنا مع نظائرِه التى لا سبيلَ إلى إحصائِها لأحدٍ مِن خلقِه ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤، والنحل : ١٨] . وأما فى الآخرةِ ، فالذى عمَّ جميعَهم به فيها مِن رحمتِه فكان لهم رحمانًا ، فى[٢] تسويتِه بينَ جميعِهم جل ذكرُه فى عدلِه وقضائِه ، فلا يَظْلِمُ أحدًا منهم مثقالَ ذرةٍ ، وإن تكُ حسنةً يضاعفْها[٣] ، ويُوَفِّى[٤] كلَّ نفسٍ ما كسَبَت ، فذلك معنى عمومِه فى الآخرةِ جميعَهم برحمتِه الذى كان به رحمانًا فى الآخرةِ .

وأما ما خصَّ به المؤمنين فى عاجلِ الدنيا مِن رحمتِه الذى كان به رحيمًا لهم فيها ، كما قال جل ذكرُه : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] . فما وصَفْنا مِن اللُّطْفِ لهم فى دينِهم ، فخصَّهم به دونَ مَن خذَله مِن أهلِ الكفرِ به . / وأما ما خصَّهم به فى الآخرةِ فكان به رحيمًا لهم دونَ الكافرين ، فما وصَفْنا ٥٧/١
آنفًا[٥] مما أعَدَّ لهم دونَ غيرِهم مِن النعيمِ والكرامةِ التى تَقْصُرُ عنها الأمانىُّ .

وأما القولُ الآخرُ فى تأويلِه فهو ما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ ابنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الفعلانُ مِن الرحمةِ - وهو مِن كلامِ العربِ .

---

(١) فى الأصل ، ص ، ر ، ت٢ : « رحمن » . وهذه الكلمة تجىء تارة فى بعض المخطوطات مصروفه وتارة غير مصروفة والوجهان جائزان ، كما نبه على ذلك أبو حيان فى أول البحر المحيط ، وقد اخترنا صرفها فيما يأتى من مواضع .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « ويؤت من لدنه أجرا عظيما » .

(٤) فى ص : « توفى » ، وغير منقوطة فى ر .

(٥) فى ر : « أيضا » .

قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ : الرقيقُ الرفيقُ بمَن أحَبَّ أن يَرْحَمَه ، والبعيدُ الشديدُ على مَن أحَبَّ أن يَعْنُفَ عليه ، وكذلك أسماؤُه كلُّها[١] .

وهذا التأويلُ مِن ابنِ عباسٍ يَدُلُّ على أن الذى به ربُّنا رحمنٌ ، هو الذى به رحيمٌ ، وإن كان لقولِه : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ . مِن المعنى ما ليس لقولِه : ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . لأنه جعَل معنى الرحمنِ بمعنى الرَّقيقِ[٢] على مَن رقَّ عليه ، ومعنى الرحيمِ بمعنى الرَّفيقِ بمَن رفَق به .

والقولُ الذى روَيْناه فى تأويلِ ذلك عن النبىِّ ﷺ ، وذكَرْناه عن العرْزَمىِّ[٣] ، أشبهُ بتأويلِه مِن هذا القولِ الذى روَيْناه عن ابنِ عباسٍ . وإن كان هذا القولُ مُوافقًا معناه معنى ذلك ، فى أن للرحمنِ مِن المعنى ما ليس للرحيمِ ، وأن للرحيمِ تأويلًا غيرَ تأويلِ الرحمنِ .

والقولُ الثالثُ فى تأويلِ ذلك ما **حدَّثنى** به عِمرانُ بنُ بَكَّارٍ الكَلَاعىُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنا أبو الأزهرِ نصرُ بنُ عمرٍو اللَّخْمىُّ مِن أهلِ فِلَسْطينَ ، قال : سمِعْتُ عطاءً الخُراسانىَّ يقولُ : كان الرحمنَ ، فلما اختُزِل الرحمنُ مِن اسمِه ، كان الرحمنَ الرحيمَ[٤] .

والذى أراد ، إن شاء اللَّهُ ، عطاءٌ بقولِه هذا ، أن الرحمنَ كان مِن أسماءِ اللَّهِ التى لا يَتَسَمَّى بها أحدٌ مِن خلقِه ، فلما تسَمَّى به الكذابُ مُسَيْلِمةُ - وهو اخْتِزالُه إياه ، يعنى اقْتِطاعَه مِن أسمائِه لنفسِه - أخْبَرَ اللَّهُ جل ثناؤُه أن اسمَه الرحمنُ الرحيمُ ؛

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٣٧ عن هذا الموضع .

(٢) فى ص : « الرفيق » .

(٣) فى م : « العزرمى » . وقد تقدم قوله فى ص ١٢٦ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩ إلى المصنف . وينظر الفتح ٨/١٥٥ .

ليَفْصِلَ بذلك لعبادِه اسمَه مِن اسمِ مَن قد تسَمَّى بأسمائِه ، إذ كان لا يُسَمَّى أحدٌ الرحمنَ الرحيمَ - فيُجْمَعَ له هذان الاسمان - غيرُه جل ذكرُه . وإنما يتسَمَّى[1] بعضُ خلِقه إما رحيمًا أو يتَسَمَّى رحمانًا ، فأما رحمنٌ رحيمٌ ، فلم يَجْتَمِعا قطُّ لأحدٍ سواه ، ولا يُجْمَعان لأحدٍ غيرِه ، فكأن معنى قولِ عطاءٍ هذا ، أن اللَّهَ جل ثناؤُه إنما فصَل بتكريرِ الرحيمِ على الرحمنِ ، بينَ اسمِه واسمِ غيرِه مِن خلقِه ، اختَلَف معناهما أو اتَّفَقا .

والذى قال عطاءٌ مِن ذلك غيرُ فاسدِ المعنى ؛ بل جائزٌ أن يكونَ جل ثناؤُه خصَّ نفسَه بالتسميةِ بهما معا مُجْتمعَيْن ، إبانةً لها مِن خلقِه ؛ ليُعَرِّفَ عبادَه بذكرِهما مجموعَيْن أنه المقصودُ بذكرِهما دونَ مَن سواه مِن خلقِه ، مع ما فى تأويلِ كلِّ واحدٍ منهما مِن المعنى الذى ليس فى الآخَرِ منهما .

وقد زعَم بعضُ أهلِ الغَباءِ أن العربَ كانت لا تَعْرِفُ الرحمنَ ، ولم يكنْ ذلك فى[2] لغتِها ، ولذلك قال المشركون للنبىِّ ﷺ : ﴿ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ [الفرقان : ٦٠] . إنكارًا منهم لهذا الاسمِ . فكأنه كان[3] مُحالًا عندَه أن يُنْكِرَ أهلُ الشركِ ما كانوا بصحتِه عالِمين ، أو[4] كأنه لم يَتْلُ مِن كتابِ اللَّهِ قولَ اللَّهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ . يعنى : محمدًا ﷺ ، ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٦] . وهم مع ذلك به / مُكَذِّبون ، ولنبوتِه جاحِدون ، فيُعْلَم بذلك أنهم قد ٥٨/١
كانوا يُدافِعون حقيقةَ ما قد ثبَت عندَهم صحتُه ، واسْتَحْكَمَت لديهم معرفتُه ، وقد أُنْشِد لبعضِ الجاهليةِ الجَهْلاءِ[5] :

---

(١) فى م ، ت ٢ : « تسمى » .

(٢) فى ص : « من » .

(٣) فى ص : « قال » .

(٤) فى ص : « أولًا » .

(٥) البيت فى المخصص ١٥٢/١٧ (المجلد الخامس) غير منسوب .

ألا ضرَبَت تلك [١]الفتاةُ هَجينَها[١] ألا قضَب الرحمنُ ربِّى يمينَها

وقال سَلَامةُ بنُ جَنْدَلٍ السعدىُّ[٢] :

عجِلْتُم علينا عَجْلَتَيْنا[٣] عليكمُ وما يَشَأِ الرحمنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ

وقد زعَم أيضًا بعضُ مَن ضعُفَت معرفتُه بتأويلِ أهلِ التأويلِ ، وقلَّت روايتُه لأقوالِ السلفِ مِن أهلِ التفسيرِ[٤] ، أن الرحمنَ مَجازُه ذو الرحمةِ ، والرحيمَ مَجازُه الراحمُ . ثم قال : قد يُقَدِّرون اللفظَيْن مِن لفظٍ والمعنى واحدٌ ، وذلك لاتِّساعِ الكلامِ عندَهم . قال : وقد فعَلوا مثلَ ذلك ، فقالوا : نَدْمانُ ونَديمٌ . ثم اسْتَشْهَد[٥] ببيتِ بُرْجِ[٥] بنِ مُسْهِرٍ الطائىِّ :

ونَدْمانِ يَزيدُ الكأسَ طِيبًا سقَيْتُ وقد تغَوَّرَتِ[٦] النُّجومُ

واسْتَشْهد بأبياتٍ نظائرِه له فى النَّديمِ والنَّدْمانِ . ففرَّق بينَ معنى الرحمنِ والرحيمِ فى التأويلِ ، لقولِه : الرحمنُ ذو الرحمةِ ، والرحيمُ الراحمُ . وإن كان قد ترَك بيانَ تأويلِ مَعْنَيَيْهِمَا[٧] على صحتِه ، ثم مثَّل[٨] ذلك باللفظَيْن [٩]يَأْتِيان بمعنًى[٩]

(١ - ١) فى ت ١ : « القناة هجيتها » .

(٢) فى النسخ : « الطهوى » . والمثبت كما فى طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٥ ، والشعر والشعراء ١/ ٢٧٢ ، والبيت فى ديوانه ص ١٩ .

(٣) فى ت ٢ : « معجلينا » .

(٤) لعله أراد بذلك أبا عبيدة فى كتابه مجاز القرآن ١/ ٢١ ، فأكثر الكلام الآتى منقول منه بنصه .

(٥ - ٥) فى ص : « بيت بزح » ، وفى م : « قول برج » وفى ت ٢ : « بيت برح » ، وفى ت ١ : « بيت نوح » . والبيت فى المؤتلف والمختلف ص ٨٠ ، وشرح ديوان الحماسة ٣/ ١٢٧٢ ، واللسان (ع ر ق) ، (ن د م) .

(٦) فى المؤتلف والمختلف ، وشرح ديوان الحماسة : « تعرضت » . وتغورت النجوم : غربت . اللسان (غ و ر) .

(٧) فى ص ، م : « معنيهما » .

(٨) فى ص : « بين » .

(٩ - ٩) فى ص : « بإثبات معنى » .

واحدٍ ، فعاد إلى ما قد جعَله بمعنيين ، فجَعله مثالَ ما [١٦/١و] هو بمعنًى واحدٍ ، مع اختلافِ الألفاظِ .

ولا شكَّ أن ذا الرحمةِ هو الذى قد[١] ثبَت أن له الرحمةَ ، وصحَّ أنها له صفةٌ ، وأن الراحمَ هو الموصوفُ بأنه سيَرْحَمُ ، أو قد رحِم فانْقَضَى ذلك منه ، أو هو فيه ، ولا دَلالةَ[٢] فيه حينئذٍ أن الرحمةَ له صفةٌ ، كالدَّلالةِ على أنها له صفةٌ ، إذا وُصِف بأنه ذو الرحمةِ . فأين معنى الرحمنِ الرحيمِ - على تأويلِه - مِن معنى الكلمتين تأْتِيان مُقَدَّرَتَين مِن لفظٍ واحدٍ باختلافِ الألفاظِ واتفاقِ المعانى ؟ ولكن القولَ إذا كان على غيرِ أصلٍ مُعْتَمَدٍ عليه كان واضحًا عَوارُه .

وإن قال لنا قائلٌ : ولِمَ قدَّم اسمَ اللَّهِ الذى هو اللَّهُ على اسمِه الذى هو الرحمنُ ، واسمَه الذى هو الرحمنُ على اسمِه الذى هو الرحيمُ ؟

قيل : لأن مِن شأنِ العربِ إذا أرادوا الخبرَ عن مُخْبَرٍ عنه أن يُقَدِّموا اسمَه ، ثم يُتْبِعوه صفاتِه ونعوتَه ، وهذا هو الواجبُ فى الحكمِ ، أن يكونَ الاسمُ مُقَدَّمًا قبلَ نعتِه وصفتِه ؛ ليَعْلَمَ السامعُ الخبرَ عمَّن الخبرُ .

فإذ كان ذلك ، كذلك وكان للَّهِ جل ذكرُه أسماءٌ قد حرَّم على خلقِه أن يَتَسَمَّوْا بها ، خصَّ بها نفسَه دونَهم ، وذلك مثلُ اللَّهِ والرحمنِ والخالقِ ، وأسماءٌ أباح لهم أن يُسَمِّىَ بعضُهم بعضًا بها ، وذلك كالرحيمِ والسميعِ والبصيرِ والكريمِ وما أشْبَهَ ذلك مِن الأسماءِ - كان الواجبُ أن تُقَدَّمَ أسماؤُه التى هى له خاصةٌ دونَ جميعِ خلقِه ؛ ليَعْرِفَ السامعُ ذلك مَن توَجَّه إليه الحمدُ والتمجيدُ ، ثم يُتْبَعَ ذلك بأسمائِه التى قد تَسَمَّى بها غيرُه ، بعدَ علمِ المُخاطَبِ أو السامعِ مَن توَجَّه إليه ما يَتْلُو ذلك مِن المعانى .

---

(١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م : « له » .

فبَدأ اللَّهُ جل ذكرُه باسمِه الذى هو اللَّهُ ؛ لأن الأُلوهةَ ليست لغيرِه جل ثناؤُه من وجهٍ مِن الوجوهِ ، / لا مِن جهةِ التَّسَمِّى به ، ولا مِن جهةِ المعنى ، وذلك أنّا قد بيَّنا أن ٥٩/١ معنى « اللَّهِ » جلّ ثناؤُه معنَى[(١)] المعبودِ ، ولا معبودَ غيرُه جل ثناؤُه ، وأن التَّسَمِّىَ به قد حرَّمه اللَّهُ جل ثناؤُه ، وإن قصَد المُتَسَمِّى به ما قَصَد[(٢)] المُتَسَمِّى بسعيدٍ وهو شقىٌّ ، وبحسنٍ وهو قبيحٌ .

أو لا تَرَى أن اللَّهَ جل ثناؤه قال فى غيرِ آيةٍ من كتابِه : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤] . فاسْتَكْبَر ذلك مِن المُقِرِّ به . وقال تعالى فى خُصوصِه[(٣)] نفسَه باللَّهِ وبالرحمنِ : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء : ١١٠] . ثم ثنَّى ذلك[(٤)] باسمِه الذى هو الرحمنُ ، إذ كان قد منَع أيضًا خلقَه التَّسَمِّىَ به ، وإن كان مِن خلقِه مَن قد يَسْتَحِقُّ تسميتَه ببعضِ مَعانيه ، وذلك أنه قد يَجوزُ وصفُ كثيرٍ ممَّن هو دونَ اللَّهِ مِن خلقِه ببعضِ صفاتِ الرحمةِ ، وغيرُ جائزٍ أن يَسْتَحِقَّ بعضَ الألوهةِ أحدٌ دونَه ، فلذلك جاء الرحمنُ ثانيًا[(٥)] لاسمِه الذى هو اللَّهُ .

وأما اسمُه الذى هو الرحيمُ ، فقد ذكَرْنا أنه مما هو جائزٌ وصفُ غيرِه به ، والرحمةُ مِن صفاتِه جل ذكرُه ، فكان - إذ كان الأمرُ على ما وصَفْنا - واقعًا مَواقعَ نعوتِ الأسماءِ اللواتى هن[(٦)] توابعُها ، بعدَ تقدمِ الأسماءِ عليها .

---

(١) فى م : « هو » .

(٢) فى ص ، م : « يقصد » .

(٣) فى م : « خصوصية » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ص : « ثابتا » .

(٦) فى ر ، ت ١ : « هو » .

فهذا وجهُ تقديمِ اسمِ اللَّهِ الذى هو اللَّهُ ، على اسمِه الذى هو الرحمنُ ، واسمِه الذى هو الرحمنُ ، على اسمِه الذى هو الرحيمُ .

وقد كان الحسنُ البصرىُّ يقولُ فى الرحمنِ مثلَ ما قلنا ، أنه مِن أسماءِ اللَّهِ التى مُنِع التَّسَمِّىَ بها العبادُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، قال : حدَّثنا حمادُ بنُ مَسْعَدةَ ، عن عوفٍ[1] ، عن الحسنِ ، قال : الرحمنُ اسمٌ ممنوعٌ[2] .

مع أن فى إجماعِ الأمةِ مِن منعِ التَّسَمِّى به جميعَ الناسِ ، ما يُغْنِى عن الاسْتِشْهادِ على صحةِ ما قلْنا فى ذلك بقولِ الحسنِ وغيرِه .

---

(١) فى ر : « عون » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٣٧.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٣٧ عن المصنف .

القولُ فى تأويلِ فاتحةِ الكتابِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : ومعنى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . الشكرُ للَّهِ خالصًا دونَ سائرِ ما يُعْبَدُ مِن دونِه ، ودونَ كلِّ ما برَأَ[١] مِن خلقِه ، بما[٢] أنْعَم على عبادِه مِن النِّعَمِ التى لا يُحْصِيها العددُ ، ولا يُحِيطُ بعددِها غيرُه أحدٌ ، فى تصحيحِ الآلاتِ لطاعتِه ، وتَمْكِينِ جَوارِحِ أجسامِ المكلَّفِين لأداءِ فَرائضِه ، مع ما بسَط لهم فى دُنْياهم مِن الرزقِ ، وغذَاهم به مِن نعيمِ العيشِ ، مِن غيرِ اسْتِحْقاقٍ منهم ذلك[٣] عليه ، ومع ما نبَّههم عليه ودعاهم إليه ، مِن الأسبابِ المؤَدِّيةِ إلى دَوامِ الخُلودِ فى دارِ المُقامِ فى النعيمِ المُقيمِ ، فلربِّنا الحمدُ على ذلك كلِّه أولًا وآخرًا .

وبما ذكَرْنا مِن تأويلِ قولِ ربِّنا جلّ ثناؤُه وتقَدَّسَت أسماؤُه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . جاء[٤] الخبرُ عن ابنِ عباسٍ وغيرِه .

/ **حدَّثنا** محمدُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ[٥] ، قال : حدَّثنا ٦٠/١
بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال جبريلُ لمحمدٍ : قلْ يا محمدُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ :

---

(١) فى م : « يُرى » .

(٢) فى ص : « مما » .

(٣) فى م : « لذلك » .

(٤) بعده فى م : « عن » .

(٥) فى ص : « سعد » . وتقدم على الصواب . وينظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٧٩.